ثقافتنا: الأزمة والتحدّيات

بن الحاج جلول لزرق:طالب دكتوراه ، جامعة محمد بن أحمد . وهران-2-

بإشراف:أ.د. بن جدّية محمد ،جامعة عبد الحميد بن باديس . مستغانم .

ملخص:

يتعرض مجتمعنا الجزائري ككل المجتمعات النامية في الوقت الحاضر لغزو ثقافي متدفّق ومكثف، تدعّمه قوى أجنبية (غربية بالأخص) لأغراض وأهداف اقتصادية وثقافية، ذلك أن هذا الغزو يحمل في طيّاته جملة من الأفكار تتعارض مع مقوّمات وثوابت مجتمعنا. فمن جهة تكمن قوّة هذا الوافد الثقافي في مغرياته وعناصره التشويقية من خلال وسائطه التكنولوجية التّي تتدفّق منها، هذا ومن انبهار أفراد المجتمع المتلقّي له ودهشته منه، من جهة أخرى، مما انعكس سلبا على شخصية المجتمع وثقافته الأصيلة. ومن هنا كان ضروري على المفكّرين والأكاديميين والباحثين توضيح الرؤية الصحيحة وتبيان حسنات هذا الغزو وسيئاته وتأثيراته على حياة المجتمع والأفراد وعلى الخصوصية الحضارية للأمة؛ حتّى يتسنى للمجتمع التعامل معه بعقلانية وهدوء، بحيث يمكن له أن يؤثر هو بدوره في صناعة هذه الثقافة العالمية من خلال ثقافته الأصيلة.

ستتناول هذه الورقة المتواضعة بعض النقاط منها: أزمة الثقافة في مجتمعنا وتحدياتها وبعض المقترحات العملية التي تراها ضرورية على الأقل في الوقت الراهن لتجاوز هذه التحدّيات.

الكلمات المفتاحية: ثقافة؛ تحديات؛عولمة؛ تربية.

I- أزمة ثقافتنا:

مفهوم الثقافة:

تطرّق الكثير من العلماء والأكاديميين والخبراء والباحثين إلى مفهوم الثقافة كل حسب مرجعيته الفكرية، ولعلّ أقدم تعريف للثقافة والأكثر شيوعا ذاك الذي قدّمه العالم البريطاني إدوارد تايلورلِ الثقافة أو الحضارة بمعناها الإثنوغرافي الواسع، هي:"ذلك الكل المركب،الذي يتضمن المعارف والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والأعراف، وكل المقومات الأخرى التي يكتسبها الإنسان العضو في المجتمع". [1]

ويعرّفها حسين مؤنس:"الثقافة ثمرة كلّ نشاط إنساني محلّي، نابع عن البيئة، معبّر عنها أو مواصل لتقاليدها في هذا الميدان أو ذاك.."[2]

من هنا ندرك، أن الثقافة هي ما انبثق عنه الفكر الإنساني من إبداع وتطوّر وتمدّن، ساهم في صبغ المجتمع بصبغة(هوية)، ميّزته عن غيره من المجتمعات، فمنحته خصوصيته التّي يعتزّ بها، ويدافع عنها ويُغار عليها من الاعتداء والمساس بها، وساعدته على تشكيل حضارته. هذه الحضارة التي يؤكد عليها الكثير من الباحثين على أنها نتاج الابتداع الثقافي الذي قدّمه مجتمع ما.

وهنا يتداخل المفهومان معا؛ الحضارة والثقافة، فيشكّلان مركّبا، يصعب الفصل بين أجزاءه،لأنهما إن صحّ التعبير وجهان لعملة واحدة؛أحدهما يمثّل الوجه المادّي (الحضاري) والآخر الوجه القيمي والمعنوي (أي الثقافي).

ما يعيشه مجتمعنا اليوم من تصارع للتيارات السياسية، تناقضت فيه المصالح الضيّقة على مستوى الأشخاص والتكتلات الحزبية والنعرات العصبية؛(هذا"عربي"،وذاك "شاوي" والأخر "قبايلي" أو "مزابي")...ساهم كثيرا في ولوج ثقافات غربية وشرقية؛ غريبة عن هذا المجتمع.

فإذا كانت الثقافة العالمية تعني فيما تعني:"إثارة النعرات والتجاذبات والاستقطابات العرقية والطائفية والقبلية داخل الدولة الواحدة"[3]؛ فهي كذلك تهدف إلى تحطيم ونهب واستغلال حضارتنا وثوابتنا، فحوّلت المجتمع إلى حلبة من التطرّف والعنف وإلى سوق فوضوية عالمية كلّ ينهب على طريقته وإلى انحلال في الأخلاق وتميّع في الشخصية؛ خاصة لدى شبابنا، وما المظاهر اليومية

المعاشة المتمثّلة في بعض السلوكات لهؤلاء، كطريقة اللباس وتسريحة الشعر وأسلوب الكلام والإدمان على المخدرات وتصفّح المواقع الإباحية عبر شبكات الانترنيت، إلّا مؤشرات على ما ذكر آنفا. ولعلّ هذا الوضع الثقافي المتأزم ساهمت فيه كذلك عوامل أخرى منها:

✓ **الاستعمار:**

لعب الاستعمار دورا هامّا في إضعاف مقوّمات الشخصية الجزائرية بالقهر والعنف؛ اللذان مارسهما على أفراد المجتمع، وتحطيم كل ما له صلة بحضارة الأمة وتراثها العربي الإسلامي، وزرع الفتن والخصومات بين أفراده. وبعد إجلاءه ترك المجتمع في حالة من الهشاشة على جميع المستويات؛ السياسية،الاقتصادية،الثقافية والتربوية،..مما أجبره إلى التّبعية، وبدأت من حينها الفجوة تظهر بين المجتمع وثقافته الأصيلة.

✓ **التوجهات السياسية غداة الاستقلال:**

حتمية الاختيار للتوجه السياسي غداة الاستقلال والصراعات الجهوية، التي طفت على سطح الأحداث آنذاك، والإحباطات التي عاشها الفكر الجزائري وغياب الرؤية المستقبلية التي حلّت محلها النظرة الآنية، كلها، أنتجت تراكمات كان أثرها واضحا في العقود الأخيرة، حيث القليل من المكتسبات التي كانت بحوزتنا ذهبت أدراج الرّياح، فتأميم الثروات حلّت محلّه الشركات المتعددّة الجنسيات، ومكسب اللّغة العربية فتتّته العامية أوالدارجة الممزوجة باللغات الأجنبية(الفرنسية على الأخص)،والمذهب الدّيني الجامع للأمة زاحمته مذاهب أخرى؛ فهذا سلفي ، وذاك شيعي، وآخر تكفيري،.. وحتّى تاريخ الثورة المباركة الذّي من المفروض أن يوحّد بين أفراد كل المجتمع، ويكون القاسم المشترك بين كل أفراده؛ لكون غالبية الشعب شاركت بشكل مباشر أو غير مباشر في صنع ملحمته؛أصبح عرضة للصراعات الشخصية من روّاد الثورة، بعدما فجّروا القنابل ضد المستعمر، أصبحوا يفجّرون بين اللّحظة والأخرى قنابل ضد بعضهم البعض بعد أكثر من خمسين سنة من الاستقلال، كل هذا وأكثر فتح المجال أمام هذا الوافد الثقافي الغربي أن ينشر أفكاره كبدائل لهذا التشتّت الذي أصاب المجتمع.

✓ **التربية و المثقّف:**

تعتبر الثقافة أكسجين المجتمع إن صحّ هذا الوصف، بها يستطيع التنفّس والتخلّص من اختناقات الأزمات والشدائد. ولسدّ الفراغ الثقافي الذي يعيشه مجتمعنا نتيجة التناقضات والصراعات،علينا إحياء وتفعيل دور الثقافة المحلّية أوالوطنية أمام الثقافة الدخيلة.

وعند حديثنا عن ثقافة المجتمع، يجب علينا ربطها بموضوع التربية ارتباطا وثيقا، "فالتربية ضرورة محدّدة لدى الإنسان؛ ذلك لعدم وجود برنامج وراثي عملي لدى الكائن البشري يرشد تصرّفه، كما أن الاختلافات الثقافية القائمة بين المجموعات البشرية، يمكن تفسيرها باختلاف الأنساق التربوية"[(4)].

فالثقافة إذن هي الإطار الذي يحتوي أسس التربية والتعليم، بدءاً بفلسفة التربية إلى المنهاج والوسائل ثمّ الأساليب، ووصولا إلى عملية التقييم والتقويم لمخرجات هذه التربية، فبالتربية والتعليم يستطيع الفرد أن يعي ثقافته وفهمها واستخلاص معانيها الاجتماعية والفكرية والاقتصادية والسياسية....إلخ.

ولا يمكن للثقافة أن تتطوّر في أي مجتمع أجواؤه مغشّاه بالأمية والجهل والتخلّف؛ فالتربية والتعليم هما المهد الذي تُفْطِم فيه الأجيال ثقافتها. وبنظرة سريعة على حال التعليم في بلادنا، نجده قد قطع أشواطا معتبرة من حيث الشكل والمظهر الخارجي، تمثّلت في البنايات وهياكل الدراسة، وعمليات التوظيف المباشرة والارتجالية ، وخفض نسبة الرسوب والرفع من نسبة التمدرس(أقل من 16 سنة)، لكن مقابل هذا كلّه نجد المدرّسين غير مُحفّزين وطلبة غير مبالين ومحتويات المناهج لا تتماشى والمناهج الحديثة و التعلم الذاتي غير مُشجَّع ،كما أننا نلمس من جهة أخرى تدهورا من حيث ارتفاع نسبة البطالة لدى خريجي الجامعات والمعاهد،وعدم تكافؤ الفرص لأصحاب الشهادات.

وفي هذه الظروف بدأت مظاهر العولمة تفرض نفسها على عمليتي التربية والتعليم للاستثمار فيهما ، دون استعداد أو وعي منّا للتعامل معها، واتضح ذلك من خلال اتساع دائرة خصخصة التعليم، واعتماد المدارس الأجنبية وتوجه المواطنين لتعليم أبناءهم في هذا النوع من التعليم، للرفع من مستواهم الفنّي،

أي بعبارة أخرى و بلغة العولمة؛ الإعداد الجيد لسوق العمل. وتوحيد المعلومة ونشر الثقافة الواحدة بإزالة الحدود عن الثقافية المحلّية.

وفي ظل هذه البدائل المفروضة علينا، ينتابنا الشعور من جهة أخرى، بتراجع دور المثقّف الجزائري، فعوض أن يكون عونا لثقافته، ومناضلا من أجلها، وحارسا أمينا عليها، كما جاء على لسان الباحث علي أومليل: " ... ينبغي على المثقّفين حاملي الحداثة أن يناضلوا من أجل حرّية الثقافة، وحرّية إبداء الرأي، وإقامة نظام ديمقراطي؛ كي يتسنى لهم ممارسة دورهم في الكتابة والنقد والإبداع، كما ينبغي أن يكون، دون وصاية من أحد أو توجيه يحرّف مسار قناعاتهم وحقيقة مواقفهم تزلّفا واستجداء لهذا الطرف أو ذاك من أرباب السلطة والحكم."[5] أصبح هذا المثقّف مادّا يده للثقافات الأخرى، تتكرّم عليه بأفكار بعيدة عن واقع أمّته وهمومها، ينقلها إلى مجتمعه ويغريه بها. وحتى لا نظلم هذا المثقّف، ونلمس له الأعذار حينا، قد يكون حيّز الإبداع والتفكير والمبادرة لديه ضيّقا بسبب قلّة الوسائل الممنوحة إليه، مقابل قوّة وآليات السلطة من جهة، أو ضعف ميزانية البحث العلمي وعدم الارتقاء بمكانة المفكر والباحث والأكاديمي، كلّها عوامل جعلت المثقف الجزائري يفقد روح المغامرة والإقدام.

II. التحدّيات التّي تواجه ثقافتنا:

تطوّرات متسارعة تعيشها كل المجتمعات، بما فيها مجتمعنا خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين إلى يومنا هذا، نتج عنها نظام جديد ومجتمع إنساني جديد كذلك، هذا الناتج هو ما أصبح يطلق عليه العولمة، صاحبت هذه الظاهرة ثورة هائلة في نظم الاتصال والمعلومات والتطورات التقنية، كان لها الأثر الكبير في بلورة تحدّيات من نوع آخر، فُرضت على الأمم المتخلفة تكنولوجيا، وكان وقعها على عامل الثقافة أشدّ، ويمكن أن نشير إلى هذه التحدّيات في بعض العناصر:

1.الثورة التكنولوجية الهائلة:

ومما لاشك فيه أن تكنولوجية الاتصالات والمعلومة السريعة تركت أثارا ظاهرة للعيان وتغيرات خطيرة (هائلة) على أبناءنا، وأصبحوا يحملون لثقافة

دخلت بيوتنا بدون استئذان إن صحّ هذا الوصف، فأربكت جيل الراشدين من الآباء والمعلّمين، وأصبحوا في حيرة من أمرهم؛ إذ كيف يوفّقون بين ما يحملون ويعتقدون في ثقافتهم التي أُنشئوا عليها وبين هذا الوافد الجديد على أبناءهم ، ومن هنا بدأ ما يسمى بمشكلة صراع الأجيال، ونحن كمجتمع له ثوابت ثقافية تشبّع بها الآباء، ونصّت عليها دساتير الدولة،(كاللغة، الدّين، الوحدة الترابية وبعض الأعراف والتقاليد والأخلاق)؛ هي مقدّسات وخطوط حمراء لا يمكن تجاوزها، خاصة على المستوى الأخلاقي،إذ يعتبر ما هو منافيا للأخلاق عندنا مباحا عند الآخر،أو العكس. كما أن التقصير أو النقص في اكتساب معرفة المعلومات واقتصارها على التواصل والتخاطب و الفرجة؛ ساعد كثيرا في إرباك العلاقة الموجودة بين المربّي(الآباء والمعلّمون) والمتربّي، وتجلّى ذلك في بعض السلوكات التي فرضت نفسها على المجتمع كطريقة اللّباس وطريقة الأكل، وتناول المخدرات وأنواع المشروبات الكحولية عند المراهقين من باب الموضة، وخدش الحياء ببعض التصرّفات المنافية للأخلاق في الأماكن العامة؛ كالحدائق العمومية وفي الشواطئ ومحطّات النقل...،هذه المتغيرات وغيرها؛ تجعلنا نعيد النظر في هذه الثقافة الوافدة علينا من خلال وسائط الاتصال الحديثة (الباربول، الأنترنيت ، الهاتف النقّال،..).

هذا العملاق المعرفي أصبح يمثّل أكبر تحدّي لثقافتنا، "فنحن أمام تيار كاسح جارف مندفع لا نملك إزاءه إلاّ التعامل معه بحكمة ويقظة، لأننا لا نمتلك شروط المواجهة معه، ولم نتهيأ لمواجهته؛ فمنظوماتنا الثقافية التي نحاول حمايتها ليست شيئا واضحا وملموسا، بل هلامية الشكل، نخبوية الإنتاج والاستهلاك، قائمة على بنية لفظية أو بيانية أكثر منها عملية وعلمية محسوسة."[6] فإما أننا نركن لكي يلتهمنا أو ننهض لمواجهته معتمدين على الله وعلى أنفسنا وعلى وثوابتنا الحضارية التي لا تقبل التغيير لكنها قابلة لاحتواء الآخر بثقافته ومعرفته وعلومه، وأهم هذه الثوابت هو تراثنا الإسلامي العربي الأمازيغي، ولتكن نقطة الانطلاق في هذا لغتنا العربية، كونها لغة استوعبت علوم الحضارات القديمة وترجمتها وقدّمتها للإنسانية كحضارة وإرث ثقافي، والتاريخ يشهد على ذلك.

2.التحديات الثقافية التي تواجه اللغة العربية:

أضحت الآن قضايا المجتمعات مكشوفة على مرأى ومسمع العالم كلّه، بفعل ما يسمى بظاهرة العولمة، حيث زالت الحواجز الجغرافية بين الدول وتسارع تدفّق المعلومات عبر وسائط أكثر تكنولوجية (انترنيت، فضائيات، فيديوهات، هواتف محمولة،...)، وانفتح العالم على نفسه، وبدأت الخصوصية الثقافية للدولة الوطنية في التراخي، مما نتج عنه المجادلات الفلسفية والسياسية بين نخب المجتمع، مابين مؤيد ورافض ومتحفظ، ولكلّ حججه الدّالة على التأييد أو الرفض، وإن كان فلا يمكن لأي عاقل أن يحدث القطيعة مع ظاهرة العولمة،لأنها أصبحت واقعا مفروضا لا مناص منه، فالانكفاء والعزلة للمجتمعات الصغيرة في جوّ التطور التكنولوجي الهائل لا يزيدها إلا تراجعا، بل اندثارا مع مرور الوقت،خاصة ما تعلّق بمقوّماتها الثقافية. "فإذا كانت العولمة الحالية تحوي خطرا فهو بالأحرى خطرا لانكفاء والانغلاق ألهوياتي" [7] على حد قول جون لو أمسيل (Jean- loup Amselle).

ولعلّ أبرز عنصر من مقوّمات الشخصية الثقافية في أي مجتمع هو اللغة الواحدة، التّي تميّز الفرد بمدنيته واجتماعيته وتفكيره وعقلانيته عن سائر المخلوقات الأخرى، "فهي عنصر من عناصر الثقافة، إذ أن الفرد يكسب ثقافة مجموعته بواسطة اللغة على وجه الخصوص".[8] كما جاء على لسان إدوارد سابير(Edward Sapir). فهي أي اللغة الحبل الذي يربط بين أفراد المجتمع كلاما ورمزية وفهما وتقاربا، مما يولّد فيهم و بينهم الشعور بالتآخي والتآزر والانجذاب نحو بعضهم البعض، وقد لا نجد مثل هذه الصفات الحيوية في مجتمع يتكلّمون أفراده عدّة لغات مختلفة، إذ أن هذا التآخي و التآزر في حدّ ذاته عنصر أساسي لتكوين الأسرة ثمّ المجتمع ثمّ الأمة، ولا تقاس أصول الأمم بتاريخها المشترك أو بتعدادها أو بجذورها فقط، بل بالشعور الموحّد والفكر الجامع والعمل والإرادة، وكلّها معايير لوحدة الأمة ولبنات لبناء مجتمع واحد،هذه اللبنات لا يحدث التماسك بينها إلا إذا جمعت بينها أداة للتواصل ألا و هي اللّغة.ومن بين أهم هذه التحدّيات الّتي تواجه لغتنا العربية كما هو معاش الآن:

- عزل اللغة العربية عن الاستعمال في الحياة اليومية واستبدالها باللهجات العامية في المؤسسات الرسمية (المدرسة، وسائل الإعلام العمومية و

الخاصة،..)،بل أكثر من هذا نجد اللغة الفرنسية أصبحت لغة الرسميين عندنا من وزراء ورؤساء حكومات وموظفي الإدارات، وحتّى معلّمي المواد التي تدرّس باللغة العربية والّذين من المفروض أن يكونوا من المدافعين عن اللغة العربية نجدهم يتحدّثون داخل أقسام الدراسة بالدارجة أو خليط من الفصحى و العامية.

- زحف اللغات الأجنبية في وسائل الإعلام والمراسلات الإدارية والخطابات السياسية والندوات العلمية والاشهارات...
- إدراج اللغة الأجنبية (الفرنسية) في المراحل الأولى من حياة التلميذ (المرحلة الابتدائية) للتشويش على اللغة العربية وإجهاد التلميذ في تحصيل لغته.
- عدم تقييم الكتب المدرسية، والتراخي اتجاه أهداف اللغة العربية في المؤسسات التعليمية.
- النظرة الدونية لبعض أفراد المجتمع اتجاه الّذين يتحدّثون اللغة العربية ويتعاملون بها.

3.عولمة الثقافة:

التحدّي الثالث لثقافتنا، تلك التطوّرات التقنية التي أصبحت أداة للعولمة واليد التي تبطش بها على غيرها من الضعفاء، وبدون هذه التكنولوجية المتطورة لا يمكن أن تصل العولمة إلى ما وصلت إليه أو تحقّق هدفها الأساس وهو تذويب كل الثقافات الوطنية في منظومة ثقافية عالمية واحدة(عولمة الثقافة) وفي هذا الصدد يقول أحمد برقاوي:" تتعدد مصادر التحدّيات التي تواجه ثقافتنا مما أضعف المناعة لدى الفرد والمجتمع، لكنّ التحدّي الأكبر لهذه الثقافة يتجلّى في تلك السياسة الاستعمارية الجديدة التي تسود العالم اليوم، والتي ترمي إلى تنميط البشر والقيم وفق معاييرها الجديدة، والسّعي إلى صياغة هوّية جديدة تفرضها في الواقع الإنساني، وفي إطار مزيّف من التوافق ألقسري والإجماع المفروض بالقوّة"[9]، خاصة إذا علمنا أن مجتمعنا مستهدف اقتصاديا وسياسيا من طرف القوى العظمى، ولعلّ الواقع يعكس ما ذكرناه آنفا، بحيث نلحظ على سبيل المثال لا الحصر، ذلك الحصار المضروب على ثقافتنا في المحافل الدولية، فالمقصود إذن من عولمة الثقافة أو ما يسمى بالعولمة من المنظور الثقافي: هو محاولة التقارب بين ثقافات الشعوب،وإزالة الفوارق

الثقافية ودمج كل الثقافات في ثقافة واحدة ذات ملامح وخصائص مشتركة، وبهذا القصد لعولمة الثقافة، يتضح أن هناك اتجاه يعني هيمنة الثقافة الأقوى على الثقافات الضعيفة إما بالتفاعل الثقافي أو الامتزاج الثقافي و ذلك في حالة تلاشي الحدود الجغرافية، كما أن العولمة الثقافية هي محاولة قولبة الشعوب فكريا (الفكر الثقافي الأمريكي) باستعمال وسائط كالأقمار الصناعية، الانترنيت، الصحافة، السينما، وغيرها.وضروري هنا أن نفرّق بين العولمة الثقافية المفروضة والانفتاح المطلوب على ثقافات الغرب والشرق بما يتفق ومبادئنا وقيمنا بقصد الاستفادة والبحث وتنمية ثقافتنا وتطويرها.هذا الانفتاح الّذي يأتي تحت ظلّ ما يسمى بالعالمية وليس بالعولمة ، ونجد العالمية في المجال الثقافي، كما في غيره من المجالات، طموح مشروع، ورغبة في الأخذ والعطاء،في التعارف والحوار والتلاقح، إنها طريق « الأنا للتعامل مع الآخر بوصفه أنا ثانية »، طريقها إلى جعل الإيثار يحل محل الأثرة، أما العولمة فهي طموح، بل إرادة لاختراق « الآخر » وسلبه خصوصيته وبالتالي نفيه من« العالم »، والعالمية اِغناء للهوية الثقافية،أما العولمة فهي اختراق لها وتمييع.[10]

4.النظام الدولي الجديد:

بعد انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي، نستطيع القول أن العالم فقد توازنه، وأصبح يرتكز على قاعدة واحدة، وكثرت الأقاويل كنهاية التاريخ، وصراع الحضارات،..كلّ هذا غيّر من طبيعة العلاقات الدولية وظهرت ثقافات جديدة (الثقافة الرقمية ،ثقافة الصورة،..) كان الهدف منها ولازال هو ترسيخ قيم الثقافة الغربية وسحق أو إزالة الثقافات الأخرى لتغليب النمط الغربي على النمط العربي الإسلامي."ومما يؤخذ على العولمة تنميطها للأخلاق وقضائها على ثقافات العالم لصالح تكوين حضارة مادية يكرّس هيمنة الأطراف القويّة وسيطرتها".[11]

5.التحديات التي تواجه إعلامنا:

كانت الدول الغربية ذكية حينما استعملت الإعلام لضرب الفكر العربي بصورة عامة، بأن احتكرته بسلعتها الثقافية وهيأته لتغريب هذا الفكر،

فالوسائط الإعلامية أصبحت تلعب دور الأسلحة النارية وبكل هدوء ورزانة لاتصافه بالإغراء والإغواء والتشويق والجاذبية. ومن هذه التحديات:

- توظيف السينما والتلفزيون في بثّ المئات من الأفلام المسيئة أو المشّوهة لحضارتنا العربية والإسلامية ونعتها المسلمين والعرب بالتخلف والإرهاب والعنف.
- تحفيز الكثير من الكتّاب للكتابة من أجل تشويه صورة العربي والمسلم.
- إشاعة الخلاف بين المذاهب الإسلامية ثمّ إشهارها على القنوات الفضائية على شكل مناظرات أو تفجيرات..

<u>بعض آثار الانفتاح الإعلامي على التربية:</u>

في دراسة أجرتها اليونسكو حول معدّلات التعرّض للتلفزيون لدى الأطفال والصبية، تبيّن منها أن الطفل قبل أن يبلغ 18 سنة يقضي أمام التلفيزيون 72 ألف ساعة في حين أنه في هذه المرحلة من العمر يقضي 14 ألف ساعة في قاعة الدرس.[12]

ومن آثار هذا الإعلام المنفتح على سبيل المثال؛ قد تصل بالفرد إلى تملك واستبطان معايير وقيم خاصة بمجموعة مرجعية ما،لا ينتمي إليها بعدُ ويرغب في الاندماج فيها. والّتي يسميها(Robert King Merton) بالتنشئة الاستباقية:

1. الوسائل الحديثة جعلت الأولياء والمدرسة يفقدان المراقبة على الأبناء فيما يسمعون ويقرؤون ويشاهدون.

2. عدم تماشي ما يعرض في هذه الوسائل من مفاهيم والمرحلة العُمرية للطفل، فالعلاقات

الحميمية بين الرجل والمرأة قد يراها طفل في سن الخامسة أو السادسة.أو أفلام العنف والإثارة والإعلانات الهابطة التي تثير الغرائز الجنسية عند المراهق.

3. هناك عروض ومواقف تقدّم بشكل مؤثر(صوتا و صورة)، ترسخ في أذهان الأطفال وتملأ خيالهم، قد تكون هذه المواقف فاسدة أو مفزعة أو مخيفة أو

مجدّدة للعنف والتدمير والتقتيل مما تطبع في نفوس الأطفال القلق والخوف بدل الشجاعة والقوة.

4. عندما تطغى الصورة على خيال الطفل، فإن روح التجديد والعمليات الذهنية قد تصاب بالفتور،حتى أن الطفل لا يستطيع حلّ عملية حسابية بسيطة كالجمع أو الطرح دون الاستعانة بالآلة الحاسبة أو اللّجوء إلى ورقة وقلم.

5. قد يُسقط الطفل أو المراهق بعض المواقف التي شاهدها في أفلام أو عروض أو إعلانات على أرض الواقع خاصة إذا كانت هذه المواقف تشير إلى العنف أو السرقة.. مما يصعب معالجتها.

6. ضعف الرقابة على مستوى الأسرة أو المؤسسات الرسمية والتراخي في تحمل المسئولية الدينية والثقافية والتربوية، فتح الباب على مصراعيه لهذه الوسائل ومن ورائها لتشكيل محتوى هذه المشاهد،التي استطاعت أن تزرع عادات وتقاليد وأصّلت لثقافات وصاغت مفاهيم تربوية تتنافى و خصوصيتنا الثقافية.

7. كثرة المطالب المادّية من طرف الأبناء.

8. توجيه الأبناء للآباء فيما يخص بعض جوانب الحياة: كاختيارهم البيت أو نوع السيّارة أو الأثاث أو مكان قضاء العطلة ..

9. روح التخاذل و التكاسل وعدم الرغبة في الدّراسة.

10. اتّساع الفجوة بين تفكير الآباء وتفكير الأبناء، وعدم الأخذ بخبرات الكبار.

<u>5.تحدّيات داخلية:</u>

يمكن إيجازها في مايلي: النزاعات العرقية والمذهبية والحزبية؛هذه النزاعات جعلت المجتمع الجزائري على قلوب شتّى، فلم يستطيع الحفاظ على ثقافته، فاستساغها الآخر لقمة سهلة بعد تفكيك أوصالها مرة بدعوى حقوق الإنسان ومرة بقيم الحرية والتسامح وأخرى بحوار الثقافات بالرغم من أن هذه الدعاوى هي أصيلة في ثقافتنا،إلاّ أنّ النتائج كانت مخيّبة؛ فلا حقوق الإنسان تحقّقت ولا حرية منشودة مورست، بل استبدل التسامح بالعنف والتطرف،والدعوة للتلاحم والوحدة بالدعوة للتطاحن والانقسام، مما زاد تقهقرا لدور الثقافة في بلادنا.

III. المقترحات:

1. التوجّه نحو الثقافة الرقمية لبناء ثقافة جديدة تواكب المستجدات، هذه الثقافة التي تقوم على ثقافة العلم والمعرفة، خاصة إذا علمنا أن مواقعنا على شبكة الانترنيت وإن وجدت، يغلب عليها عموما ضعف المحتوى والسذاجة في العطاء، ناهيك عن غياب اللغة العربية عن نوافذ المواقع العالمية.
2. أن ننفتح على الثقافات الأخرى، فإذا كان الانطواء والانكفاء والانكماش لا يولّد إلا التأخر والتراجع والتّخلف بسبب عدم الانتفاع بما عند الآخرين من رصيد ثقافي وحضاري، فإن الانفتاح على ثقافات الغير والتلاحق بحضاراتهم يقلّص تلك الفجوة الموجودة بين ثقافتنا وثقافة الآخر،خاصة إذا اعتمدنا على عنصر الترجمة كجسر تلاحق بين الثقافات ووسيلة أساسية للإطلاع على ثقافة الآخرين.
3. إن أجواء الديمقراطية الحقّة وحرية الفكر والرأي من شأنها تطوير الثقافة والرفع من قيمتها، لأنّ مثل هذه الأجواء تجعل الفكر يتحرّر و يحطّم حواجز الخوف والقلق ويذهب بعيدا في عالم المعرفة.
4. النقد الذاتي البنّاء من أسباب التجديد نحو الأفضل.
5. أن نعتقد جازمين بأن ثقافة هذا المجتمع لا تضمحل ولا تندثر، فمهما أصابها من النكبات فإنها سوف تنهض من جديد.

الهوامش:

1. دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: منير السعيداني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1،2007 ،ص31.
2. حسين مؤنس، الحضارة، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ،العدد 237، ط2،الكويت،1998، ص138.
3. ابراهيم أبراس، الفكر العربي ومسألة الهوية في عصر العولمة الثقافية، مؤتمر الفكر العربي الإسلامي في مواجهة التحدّيات المعاصرة، فلسطين،13-61 نوفمبر2006، ص3.
4. دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص 74.
5. علي أومليل، سؤال الثقافة، الثقافة العربية في عالم متحوّل، المركز الثقافي العربي، بيروت،2007، ص71.
6. تركي الحمد، الثقافة العربية في عصر العولمة، دار السياقي، بيروت، 1998، ص72.
7. دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص 133 .
8. دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص 76.

9. أحمد برقاوي، نحو تجديد فلسفي إنساني لمفهوم الثقافة العالمية،مدخل ميتادولوجي من كتاب:صراع حضارات أم صراع ثقافات، تحرير: فخري لبيب، مطبوعات التضامن، 1997، ص258.
10. طعيمة،رشدي أحمد،العولمة ومناهج التعليم العام،الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، القاهرة، 1999، ص27.
11. روني جان ديبوى، العولمة واندفاع الهويات،عرض المجلّة الأكاديمية المغربية، العدد 12، 1995، ص155.
12. محي الدّين عبد العليم، إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،ط1،قطر،1998، ص ص49،48.